خطبة بعنوان: دائرة الخوف

يوم الجمعة: ١٤٤١/١٠/٢٧هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... أمر الله عز وجل بالخوف منه فقال جل وعلا: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] وأثنى سبحانه على عباده الخائفين منه فقال جل وعلا في وصف قوام الليل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦] وامتن الله عز وجل على أهل بيته بتأمينهم من الخوف فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣-٤] وعاقب الله تعالى أقوامًا بإحلال الخوف فيهم فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢] وبين جل وعلا أن من مداخل الشيطان على الإنسان إيقاع الخوف في قلبه فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

أيها المسلمون... يدخل الشيطان على الإنسان فيخوفه من المرض أو العين أو الجن أو السحر أو يخوفه على المال أو الولد أو المستقبل إلى أمور كثيرة، فإذا رأى الشيطان من العبد ضعفًا في هذا الجانب ازداد تخويفه له، حتى يخرجه من الخوف الطبيعي إلى خوف مرضي وحالة اعتلالية وخروج عن الطبيعة البشرية، فيكون أسيرًا لخوفه محبوسًا في دائرته، ويزداد تسلط الشيطان على الإنسان فيجلب عليه بالقلق والاكتئاب إلى أنواع أخرى من الأمراض والاعتلالات، فيكون العبد حينئذ ألعوبة بيد الشيطان يقلبه كيف يشاء.

أيها المسلمون... وهذا النوع من الخوف محرم ومن كبائر الذنوب، لما يحتف به من إساءة الظن بالله وضعف التوكل عليه والانصراف عن طاعته، وإذا وقع العبد أو تلبس بهذا النوع من الخوف فليعلم أن ذلك من تلاعب الشيطان وفيه انصراف عن طاعة الرحمن وهو علامة على ضعف الإيمان والتوكل على الملك الديان.

أيها المسلمون... إن مما يصرف الخوف عن العبد أن يقبل على الله تعالى بالخوف منه ومحبته ورجائه والخشوع له والخضوع له سبحانه ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥] ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨] ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨] وإذا أقبل العبد على الله وخاف منه أمنه من كل شيء.

أيها المسلمون... إن مما يطرد الخوف عن العبد أن يتوكل على الله ويفوض الأمر إليه ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لا يكون في الكون إلا ما كتبه الله قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ولا يكون شيء في الكون إلا عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١] فيعلم العبد أن ما يكون وما سيكون إنما هو بأمر الله تعالى وقضائه وتقديره فيرضى ويسلم.

أيها المسلمون... إن مما يطرد الخوف عن العبد أن يكثر من ذكر الله تعالى، فيقبل على كتابه ويلهج بدعائه ويكون دعاؤه بأسمائه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] فإذا امتلأ القلب بذكر الله تعالى والركون إليه فإنه يطرد الخوف وما عداه ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

أيها المسلمون... إن مما يطرد الخوف عن العبد أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨] بعد أن يعلم أن الشيطان هو عدوه الأكبر وكائده الأظهر، وحينئذ فلا يستسلم لتخويفه ولا ينقاد لتزيينه وإنما يجفل منه ويتناءى عنه.

أيها المسلمون... وإن مما يطرد الخوف عن العبد أن يعلم أن هذه المخلوقات التي يخاف عليها أو يخاف منها أنها في ملك الله وتحت قهره وتصرفه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]

أيها المسلمون... إن الخوف كسائر الاعتلالات والأمراض النفسية سهل زوالها ويسير اندفاعها متى صدق العبد مع الله تعالى في دعائه والالتجاء إليه والاطراح بين يديه والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.